« اذا كانت السيدة مائير تريد أن ترى العمال العبريين يقطرون عرقا في أيام الصيف الحارة ، ان كان ذلك يسرها ، فذلك شأنها هي . ولكن ليس من الممكن ان يصبح المقياس الوطني الذي على أساسه يتم اقناع الجمهور بأنه يجب الا ندمج اقتصاد الضفة الغربية ... ان كل أم يهودية تريد ابنها ان ينهي مدرسته وجامعته وأن يصبح كيميائيا او تقنيا او مهندسا او على الاقل سمكريا مدربا . من الذي يدرب شباب اليوم على الاعمال البسيطة ، حمل اكياس الاسمنت او الاسفلت من أجل شق الطرق ؟ في مجرى الوقت سنحتاج في اي حال الى عمال عرب للبناء والزراعة وحتى للصناعة. ان المهاجرين هم ، أكثر فأكثر ، أناس يقع مجال اختصاصاتهم بعيدا عن هذه الاعمال البسيطة »(٨١).

لقد بدأ يتحقق ما توقعه بنحاس سابير عندما حذر من « ان دمج العمل العربي في الاقتصاد اليهودي سينتج نظاما ذا طبقتين مع صيرورة العرب عمالا لسحب المياه وقطع الخشب »(٨٢)*. وقد نتج عن ذلك تغييرات ثقافية رئيسية في بعض قطاعات المجتمع الاسرائيلي ، وصدام عنيف مع القيم التقليدية لـ « صهيونية العمل » . لقد عبرت بجلاء عن هذا التمزق في القيم القديمة رسالة مشهورة كانت امرأة قلقة قد كتبتها الى موشيه دايان ، ونشرتها الصحافة الاسرائيلية :

« ولد كلانا ، أنا وزوجي ، في موشاف [مستوطنة زراعية تعاونية] في مركز البلد . وحتى حرب الايام الستة كنا نعيش بارتياح ، ونعمل بجد ونوفر معيشة مشرفة . ولكن منذ الحرب تغيرت الامور جذريا ، اذ أن زوجي ، وهو رجل قدير ، أصبح مقاولا في عمل الزراعة . ان عمله لا يتضمن اية مشكلة : فالعمل رخيص وهناك دائما سوق له. واليوم لدينا ٥ عمال عرب وقد وصلنا الى درجة ان لا أحد في الموشاف يقوم بأي عمل مهما خف. وفي هذه الايام يرفض ابني الاكبر مجرد جز « الجنينة » قائلا « محمد سيقوم بذلك » . وأن تطلب منه تحويل انابيب الري او ان يقوم بأي عمل يدوي هو أمر غير وارد على الاطلاق . ان اولادي وأولاد الموشاف الآخرين يغدون ، أمام مرأى ناظري ، ابناء رجال اغنياء من النوع الزائف السيىء السمعة ، الذين يقوم الخدم بعملهم. انهم لا يعرفون ان يسوقوا الجرار الزراعي الواقف في باحتنا ويتصرفون وكأن عمل الزراعة أدنى من عزة نفوسهم ... وحتى الاسبوع الماضي ، كان العمال يعيشون في بيوت مكتظة عديدة في المنطقة. والان ومع احضار عمال آخرين للمساعدة على حصاد محاصيل الدفيئة**،فان البيوت المكتظة التي كانت تستوعب العمال اصبحت مليئة تماما . ولذلك بنى زوجي لعماله كوخا في باحة الحوش الخلفية . وعندما عبرت عن رفضي الشديد لهذه الخطوة ، طلب مني القيام بنزهة حول القرية . حسنا ، لقد تبين ان كل رجل محترم في القرية تحول الى مقاول ، بشكل او بآخر . وان الدفيئات التي يتم بناؤها جميعا بواسطة العمل العربي تزداد . ان العرب يعيشون في « الادغال » بضع أمتار من فيلاتنا المجددة ، وأصبحت انماط معيشتنا شبيهة بأنماط معيشة الافندي »(٨٣).

وهكذا ، فان سياسة الدمج الاقتصادي قد وفرت لاسرائيل أسواقا جديدة مهمة ، ومصادر لقوة عمل شديدة الاستغلال . لقد غدت المستوطنات شيئا حيويا للاقتصاد الاسرائيلي .

---

* لاحظ آخرون ، بشكل أكثر صحة ، وجود ثلاث شرائح اثنية في المجتمع الاسرائيلي : اليهود من أصل غربي فوق ، والعرب الفلسطينيين تحت ، واليهود الشرقيين بينهما .

** الدفيئة : مستنبت زجاجي عالي الحرارة لانتاج النباتات .